الـتـرف ..
وخطره على الدعوة والدعاة وعموم الناس
درس نتعلمه من شهر رمضان المبارك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وبعد ...

الموضوع:

إن زينة الحياة الدنيا وشهواتها أخذت بألباب وعقول أفراد من الأمة حتى عبدوها وأصبحوا يـــرون في تعـــاليم الإســـلام وأحكامه ما يفسد عليهم متعتهم بها فصاروا يحاربون تعاليم الإسلام والداعين إليه، ويقفون في وجه كل دعوة جادة إلى الإسلام تريد إعادة الأمر إلى نصابه، وتقوم ببيان خطر الاغترار بالدنيا، منبهة إياهم إلى ما أحـــدثــــه من آثار سلبية كثيرة على دينهم ودنياهم.

وشـــباب الصحوة الإسلامية بعامة والدعاة إلى الله سبحانه بخاصة، جزءٌ من أفراد المجتمع الإسلامي يصيب بعضهم – سواء أكان ذلك في حياتهم الشخصية والاجتماعية أو في البيئة الدعوية التي يعمـــلـــون من خلالها – ما يوجد في مجتمعاتهم من أمـــراض وأدواء، ومن ذلك وجود ظاهرة الترف والرفاهية الزائدة في حياة بعضهم، وانشغالهم بذلك عن تربية أنفسهم والقيام بواجبـــهـــــم تـــجاه دينهم وأمتهم، بل إن الأمر لدى أولئك تجاوز حد التشاغل إلى مرحلة التساقط عن الطريق وترك الطاعة ومبارزة الله تعـــالى بالمعاصي.

وهذه محاولة لمعالجة تلك الظاهرة بـــبـــيـــــان حقيقتها، وإيضاح موقف الشرع منها، وإبراز مظاهرها، وتحليل أســـبابها وبيان خطورتـــهـــــا وآثارها، مع محاولة تقديم وصف لعلاجها، عَلَّ الله (سبحانه وتعالى) أن يوفقنا إلى تلافيها وتجاوز آثارها.

= عناصر البحث:

أولاً: حقيقة الترف.

ثانياً: موقف الإسلام من الترف.

ثالثاً: مظاهرات الترف.

رابعاً: أسباب الترف.

خامساً: آثار الترف : أ- الآثار العامة للترف على شخص المترف.

ب- الآثار السيئة للترف على مسيرة الدعوة.

سادساً: علاج الترف وكيفية تجاوزه: أ- الاعتبار بهدي السلف في التعامل مع زهرة الحياة وزخرفها.

ب- توجيهات عامة للمترف يمكنه القيام بها.

جـــ- وسائل يحسن للمربين الأخذ بها للتخفيف من الترف وآثاره.

أولاً: حقيقة الترف:

جاء في القاموس: التُّرفه: النعمة والطعام الطيـــــب، والشيء الظريف تخص به صاحبك، والمترف كمكـــرَم: المتـــروك يصنع ما يشاء لا يمنع، والمُتَنَعَّمُ لا يمنع من تنعمه.

والمراد بالترف في هذا المقال: مجاوزة حد الاعتدال بنعمة أو الإكثار من النعم التي يحصل بها الترف، وعليه فإن المترفين هم: الـــذين أبطـــــــرهم النعمة وسعة العيش، الحريصون على الزيادة في أحوالهم وعوائدهم، الساعون إلى بلوغ الغاية في حاجـــات الـــذات الحسية من مأكل ومشرب ومسكن ومركب.. الخ، ومع أن الترف قـــــائم على الغنى ومبني عليه إلا أنه ليس بلازم له، فكم مـــن غني وهو بخيل، يعيش هو وأهله عيشة البؤساء والمعوزين، وكم من فقير حرص على توفير النعم وتحصيل ملذات الحياة وشهواتها من أي سبيل!!

ثانياً: موقف الإسلام من الترف:

ورد ذكر الترف في القرآن الكريم في ثمانية مواضع كلها في موضــــع الذم له والتحذير منه، كمـــا ورد العديـــد مـــن الأحاديث النبوية التي ينهى بعضها عن الترف جملة وتحذر من تعلُّق القلب به، وغلو الإنسان في الانغماس في متع الحياة وملذاتهـــــا، وبعضها الآخر ينهى عن مظهر من مظاهر الترف، ويحث على تركه والانصراف عنه إلى مـــا هو خير في الدارين.

فمن الآيات:

١- قوله تعالى: "وإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيـــهَـــــــــا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا القَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً"[1].

٢- قوله تعالى: "حَتَّى إِذَا أَخَـــــــذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجأَرُونَ"[2].

٣- قوله تعالى: "وكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّـــةٍ وإِنَّـــا عَلَـــى آثَـــارِهِم مُّـــــقْـــــتَدُونَ"[3].

ومن الأحاديث:

١- روى البخاري ومسلم عن عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ [أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَـــأْتِي بِجِزْيَتِهَا وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ صَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِـــنْ الْبَحْرَيْنِ فَسَمِعَتْ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَوَافَوْا صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّـــهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْصَرَفَ فَتَعَرَّضُوا لَهُ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَآهُمْ ثُمَّ قَالَ أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنْ الْبَحْرَيْنِ فَقَالُوا أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ]، وفي رواية: [وَتُلْهِيَكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُمْ].

٢- روى أحمد والنسائي وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [كُلُوا وَتَـــصَدَّقُوا وَالْبَسُوا، فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ].

---

[1] سورة الإسراء:١٦

[2] سورة المؤمنون:٦٤

[3] سورة الزخرف:٢٣

٣- روى أحمد عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ [أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ بِهِ إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: إِيَّاكَ وَالتَّنَعُّمَ، فَإِنَّ عِبَادَ اللَّهِ لَيْسُوا بِالْمُتَنَعِّمِينَ].

ودعوة الإسلام إلى ترك الترف، ومحاربته له، لا تعني ترك النعم والملذات، وإنما المراد الاقتصاد في الإنفاق، وعدم تعلق القلب بها والركون إليها،

١- روى مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ].

٢- روى أبو داود في السنن عن مالك بن نضلة الجُشَمي قَالَ: [أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ثَوْبٍ دُونٍ، فَقَالَ: أَلَكَ مَالٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مِنْ أَيِّ الْمَالِ؟ قَالَ: قَدْ آتَانِي اللَّهُ مِنْ الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ وَالْخَيْلِ وَالرَّقِيقِ، قَالَ: فَإِذَا آتَاكَ اللَّهُ مَالًا فَلْيُرَ أَثَرُ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكَ وَكَرَامَتِهِ].

٣- روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: [اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ].

٤- روى أبو داود في السنن عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنُ ثَعْلَبَةَ الْأَنْصَارِيُّ قَالَ: [ذَكَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا عِنْدَهُ الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَا تَسْمَعُونَ؟ أَلَا تَسْمَعُونَ؟ إِنَّ الْبَذَاذَةَ مِنْ الْإِيمَانِ، إِنَّ الْبَذَاذَةَ مِنْ الْإِيمَانِ]، والمراد به: التواضع في اللباس وترك التبجح به، وعدم غلو الشخص في الاهتمام بمظهره حتى يشار إليه بالبنان.

ثالثاً: مظاهر الترف:

١- الإفراط في تناول الطعام والشراب، وكثرة توفير متطلبات النفس مما لذ وطاب، مما جعل الجم الغفير من الناس – دعاة وغيرهم – يعانون بسبب ذلك من السمنة وكثيرٍ من الأمراض الناشئة عن التخمة.

٢- جعل المال في الملابس الراقية، والاكتفاء بلبس الجديد والفاخر، حتى كثرت بسبب ذلك الملابس غير المستخدمة في المنازل، وتكدست مع وجود تنوع في الاستعمال حسب تعدد فصول العام، واختلاف أوقات اليوم، ويبرز الترف في هذا الجانب لدى النساء.

٣- صرف الأموال الكثيرة في السيارات والحرص على ضخامتها وتعددها حسب أحجامها وأنواعها، وتسليم بعضها للمراهقين يستخدمونها – غالباً – في غير ما وضعت له.

٤- صرف الأموال الضخمة في بناء المنازل والدور، والتباهي في إعدادها وتصاميمها البديعة في الشكل الخارجي والداخلي، مع الحرص على تعدد مواقعها فبعضها للشتاء والآخر للصيف، وبعضها للسكن وبعضها للنزهة، ومع الحرص على سعتها وكثرة غرفها ووجود ملحقات لها ووفرة وسائل الترفيه فيها مع أن الذي يكفي الإنسان من ذلك الشيء القليل.

٥- نعومة الأجساد وطراوتها وترهل الأطراف ونعومتها والتهاون أثناء أداء الأعمال مما أدى إلى أمراض حديثة ولدتها هذه الظواهر.

٦- الاســـتـــكـــثـــار مــــــن وسائل الزينة والاعتناء الزائد بـــالنفس، والإفـــراط في التـــدهن والتطيـــب والترجيـــل للـــشعر، ونـــحــــــــــو ذلك من أمور الناس حتى إن بعضهم ليزيد إنفاقه على زينته وبعض مظاهر الترف الأخــــــــــرى على دخلــه، مما يضطره إلى الاقتراض أو إلى تعاطي أمور أخرى لا تحمد عقباها.

٧- جعل المال في الفرش الوثيرة والأواني الفاخرة والمتاع الراقي، أو الإكثار من ذلك - وإن لم يكن الشيء غالي الـــثمن - كثـــرة تقصر معها أيام العمر وتأبى أن تتسع للعبد لكي ينتفع بها ويستخدمها.

٨- عـــــــدم قـــيــــام الإنسان بحاجاته الذاتية والاجتماعية التي يتمكن من القيام بها والمجيء بالخدم رجالاً ونــــســــــــــاء، لكي يقوموا بذلك من غير حاجة وإنما رغبة منه في ترفيه نفسه وتقديم الراحة لأهله وأولاده، وحباً منه في التفاخر والتباهي والظهور بمظهر المتميز أمام بقية أفراد المجتمع.

٩- كثرة استخدام وسائل الترويح عن النفس من مزاح وألعاب ونزهة وزيارات كثيرة تخرج بالترويح عن الأمر الذي شـــرع لـــه، وتصبح في حياة كثير من الناس كأنها هي الأصل والجد هو الفرع.

١٠- ضياع الأوقات وانتشار البطالة في حياة بعض من الدعاة والمصلحين، حيث تكثر ساعات نومهم ويتتابع فناء أعمارهم دون أن يقضوا شيئاً منها في أمر ينفعهم في دينهم أو دنياهم.

١١- الـــتـــعـــلـــق بالتوافه، وضعف التفكير، وغياب القدرة على النقد البناء، وانتشار التقليد، والتـــسرع فــــي الحـــكـــــم عـــلـــى الأشـــيـــــــــاء بناءً على ظواهرها، وإمكانية التلاعب بالشخص واستدراجه إلى ما يراد من قبل الآخــــرين بيـــسر وسهولة وبدون عناء أو مشقة.

١٢- عدم الحرص على الطاعة، والتواني عن القيام بما يقرِّب في الآخرة سواء أكان ذلك فيما يتعلق بذات الشخص كصلاة النفـــل وصيام التطوع، أو فيما يتعلق بشؤون الدعوة، إذ تكثر عند التنفيذ المشاغل وتتعدد المبررات للتقاعس عن العمل أو التأخر في أدائه، وفي المقابل توجد - لدى ذلك الصنف - عجله في تحصيل وسائل الترف، وسرعة في تحقيق مطلوبات النفس وشهواتها.

١٣- تتبع أقوال أهل العلم للأخذ بالأيـــســــــــر مـــنهـــا، ويرجع ذلك إلى أن كثرة النعم تقود إلى الدعة والراحة، وتلك تقود إلى اقتحام سبيل الشهوات والانغماس في الملذات، التي قد لا يجد العبد متنفساً له فيما أحل الله فيقرر الأخذ بما يراه حراماً، ولكـــن لكي يزيل الحرج عن نفسه، ويدفع عنه لوم الآخرين - إن وجد - يقـــــــــوم بتتبع أقوال أهل العلم في الأمر الذي قرر إتيانه إلى أن يجد له عالماً في القديم أو الـــحـــــــديث يقول بجواز فعله، فيفرح به ويبدأ بإعلانه ونشره لا اعتقاداً بصحة ذلك القول والرغبة في إذاعته، ولكن حباً في رفع الحرج عن النفس نظراً لموافقة ذلك القول لما قد عزمت نفسه على فعله.

رابعاً: أسباب الترف:

١- طول الأمل:

فالانشغال بمتاع الدنيا وشهواتها ناتج عن طول الأمل ونسيان الإنسان كونه في رحلة إلى الدار الآخرة تكتمل بنـــزول ملك المـــوت لقبض الروح، ونظراً لخطورة تلك الغفلة عن ذلك المصير وما تنتجه من ضعف الخوف من الله تعالى، وقـــلـــــة الخـــشـــيــــــــة له، وبالتالي عدم المحاسبة للنفس والمراقبة لعملها.

قال الله عز رجل محذراً من ذلك: "ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا ويَتَمَتَّعُوا ويُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ"[1].

---

[1] سورة الحجر:٣

وروى البخاري في صحيحه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: [أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ. وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ]، وذلك لأن الغريب لا تعلق له ببلد الغربة، ولا تشاغل لديه بملذاتها وملهياتها، بل قلبه معلق بوطنه الذي يرجع إليه، والمسافر لا هم له في الاستكثار من متاع الدنيا أثناء قطعه لمنازل السفر، وإنما يكتفي بتحصيل زاد السفر له ولراحلته لا غير.

٢- نسيان الموت:

روى أحمد وأهل السنن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ[1]]، يَعْنِي الْمَوْتَ.

وروى الطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنْ اِبْنِ عُمَرَ مَرْفُوعًا: [أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ – يَعْنِي الْمَوْتَ –، فَإِنَّهُ مَا كَانَ فِي كَثِيرٍ إِلَّا قَلَّلَهُ, وَلَا قَلِيلٍ إِلَّا جَزَلَهُ].

٣- عدم موازنة الإنسان بين جوانبه المختلفة:

الانغماس في زهرة الحياة وبهارجها ناتج عن تغليب الإنسان لمتطلبات، جسده من مأكل ومشرب وملبس ومركب ومسكن ووسائل ترويح ... الخ وإغفاله لمتطلبات مهمة أخرى من عقل وروح، وعدم قيامه بالأخذ بالهدي النبوي الرشيد الداعي إلى الموازنة بين تلك الجوانب المختلفة.

روى البخاري عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ، صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا].

وروى البخاري عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: [جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي].

٤- حب التقليد أو التأثر بضغوط الواقع:

يرغب بعض الدعاة في أن يكون ابن بيئته – كما يقولون – فيرى أنه لابد له من الظهور بالمظهر اللائق به مطعماً ومشرباً ومركباً ومسكناً وخدماً وترفيهاً فيضطر لكي يصل إلى ذلك الهدف إلى تقليد المترفين في بيئته ممن لا خلاق لهم مباهاةً وتفاخراً وحباً في مساواتهم في أحوالهم ومعاشهم، إن لم يصل به الأمر إلى حد الرغبة في التفوق عليهم وتجاوز ما هم فيه من ترف.

[1] "هَاذِمِ اللَّذَّاتِ" بِالذَّالِ الْمُعْجَمَةِ: أَيْ قَاطِعِهَا، قَالَ مِيْرَكُ: (صَحَّحَ الطِّيبِيُّ بِالدَّالِ الْمُهْمَلَةِ، حَيْثُ قَالَ: شَبَّهَ اللَّذَّاتِ الْفَانِيَةَ وَالشَّهَوَاتِ الْعَاجِلَةَ ثُمَّ زَوَالَهَا بِبِنَاءٍ مُرْتَفِعٍ يَنْهَدِمُ بِصَدَمَاتٍ هَائِلَةٍ, ثُمَّ أَمَرَ الْمُنْهَمِكَ فِيهَا بِذِكْرِ الْهَادِمِ لِئَلَّا يَسْتَمِرَّ عَلَى الرُّكُونِ إِلَيْهَا, يَشْتَغِلَ عَمَّا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ الْفِرَارِ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ)أهـ. لَكِنْ قَالَ الْإِسْنَوِيُّ فِي الْمُهِمَّاتِ: (الْهَاذِمُ بِالذَّالِ الْمُعْجَمَةِ هُوَ الْقَاطِعُ كَمَا قَالَهُ الْجَوْهَرِيُّ، وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا, وَقَدْ صَرَّحَ السُّهَيْلِيُّ فِي الرَّوْضِ الْأُنُفِ بِأَنَّ الرِّوَايَةَ بِالذَّالِ الْمُعْجَمَةِ), وَقَالَ الشَّيْخُ الْجَزَرِيُّ: (هَادِمٌ يُرْوَى بِالدَّالِ الْمُهْمَلَةِ أَيْ دَافِعُهَا أَوْ مُخَرِّبُهَا, وَبِالْمُعْجَمَةِ أَيْ قَاطِعُهَا)، وَاخْتَارَهُ العلماء، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يُصَحِّحْ الْخَطَّابِيُّ غَيْرَهُ، وَجَعَلَ هادم بالدال المهملة مِنْ غَلَطِ الرُّوَاةِ.

وهذا مرض داخلي يوجد لدى بعض الدعاة، وقد يكون الأمر على العكس من ذلك فلا يوجد لدى ذلك الداعية رغبـــة ذاتيـــة في الترف، لكن أفراد مجتمعه الذي يعيش فيه من أقارب وأصحاب – ممن رفعوا شأن زخرف الحياة وصارت شهوات الدنيا وملذاتها في نظرهم قيمة يقاس الإنسان بها ؛ فبمقدار ضخامة منزل الشخص وكثرة خدمه وعدد مراكبه وبذخه في مأكله ومشربه وملبـــسه: تكون مكانته ومنزلته – يدفعونه إلى ذلك دفعاً من خــــــلال المطالبة بإلحاح شديد من قِبَلِ الأهل والأقارب بتوفير وسائل الترف، أو من خلال الـــنـــقــــــــد الجارح واللوم اللاَذِعَ من الأصحاب على ما يسمونه بحرمان النفس من خيرات الله تعالى ونعمـــه التي لا تعد ولا تحصى، بل إن المطالبة واللوم قد يصحبهما سوق العديد من المبررات التي يجدها الداعية تحت ضغط الواقع الـــشديد مقنعة نوعاً ما فتتغير نظرته شيئاً فشيئاً إلى أن تزول قناعاته السابقة فتتبدل حاله، ويصبح في غالب أمره كسائر أفراد مجتمعه.

٥- ضعف التربية الشرعية:

من أبرز أسباب الــتــرف ضــعـــف التربية الشرعية، وضعف التوجيه الجاد والمناسب للشباب من قبل بعض المربين في كيفيـــة التعامل مــــع فتنة الحياة الدنيا وزخرفها وما نتج عن ذلك من عدم تربية النشء على الجَلَدَ والخشونة بذريعة الخوف من انفـــراط اجتماع الطلاب حول المربي والخشية من انصرافهم عنه بالكلية!

٦- كثرة المال ووفرة النعم:

زيادة المال ووجود النعم ووفرتها تكون أحياناً من أكبر دواعي الترف وأسبابه، وذلك لأن المال يعمي ويصم، ويدعو إلى الركـــون والمتعة والراحة ويدفع صاحبه إلى البذخ والإنفاق في غير حاجة، وقد أوضح الله تعالى في كتابه هذه الحقيقة في آيات، منـــها قولـــه تعالى: "كَلاَّ إِنَّ الإنسَانَ لَيَطْغَى. أَن رَّآهُ اسْــــتَــغْــنَـــى"[1].

ومن أجلى صور الطغيان وأوضحها البطر بالنعمة والإنفاق في غير حاجة ترفاً ومباهاة وحباً للظهور. يقول سبحانه علـــى لـــسان المترفين الذين أبــطـــرتـــهـــم النعمة: "وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ"[2]، فكثرة الأموال قادتهم إلى الترف والبطر والكبر، وتلك الأمور جرتهم إلى تكذيب الحق، ورفض قبوله والإذعان له.

ويزداد تأثير كثرة المال ووفرة النعم على الإنسان وجره إلى الترف وغاية الرفاهية حين يكون مولوداً في النعم، لم تمر به حالات بؤس، و لم يعرف شدة البلاء ومعاناة الفقر، بل جاءه المال وتوفرت لديه النعم بسهولة ويسر من دون ما كسب أو بذل جهد.

٧- حب النفس للشهوات:

حبب الله تعالى للبشر زينة الحياة الدنيا وزخرفها، فقال سبحانه: "زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ والْبَنِينَ والْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ والْفِضَّةِ والْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ والأَنْعَامِ والْحَرْثِ ..."[3]، وليست المشكلة في ذلك الحب الذي وضعه الله تعالى في القلوب، بل إنه فطري وضروري لاستمرار الحياة والــقـــيــــام بواجب الخلافة في الأرض، ولكنها تكمن في تقديم حب تلـــك الأشـــياء علـــى محبوبات الله تعالى ورسوله -صلى الله عليه وسلم-، وما ينتج عن ذلك من التشاغل بها والركون إليها حتى يصير الإنـــسان كأنـــه مسترق لها لا يستطيع عمل ما يخالفها وإن كانت في ذلك سعادته ونجاحه.

---

[1] سورة العلق:٦-٧

[2] سورة سبأ:٣٥

[3] سورة آل عمران:١٤

وقد حذر الله تعالى في كتابه عباده من تقديم حبهم لشهواتهم وملذاتهم على حبه سبحانه وحب رسوله -صلى الله عليــه وســـلم- والعمل لدينه، فقال سبحانه: "قُلْ إن كَانَ آبَاؤُكُمْ" إلى قوله تعالى: "وأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ومَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ ورَسُولِهِ وجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّــهُ بِــــأَمْرِهِ واللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ"[1] .

٨- الإغراء بالوقوع في الشهوات:

يسعى أعداء الدين من يهود ونصارى وأذنابهم في أوساط الــمـــســلـــمـــيـــن إلى إلهاء الأمة - وبخاصة شباب الصحوة المنتسبين منهم إلى الدعوة - بالشهوات وغمسها بالملذات لتلهو وتعبث حتى لا تفيق على ما يفعلون بها من محاولة طمس عقيدتها، وعـــــدم استعدادها لمكانتها وكرامتها، حيث أغرقوا أسواق المسلمين بوسائل الترف وفنون الملذات، وزينوا ذلك في نفوسهم وبثوا لها الدعايات وأقنعوا الكثيرين بأنها دليل من أدلة الحضارة وعنوان من عناوين التقدم والتميز والرقي في المجتمع.

ولقد أفصح أولئك الأشرار عن نواياهم الخبيثة ؛ ومن ذلك ما جاء في البروتوكول السادس من (بروتوكولات حكماء صـــهيون): (... سنشجع حب الترف المطلق...)، وما جاء في البروتوكول الثالث عشر: (... سنلهيها - أي: الجماهير - أيضاً بأنواع شتى من الملاهي والألعاب ومزجيات للفراغ والمجامع العامة وهلم جرا ...).

خامساً: آثـــــار الـتــــرف:

لتوجه بعض الدعاة إلى معيشة الترف آثار عامة وآثار خاصة بمسيرة الدعوة، سأتحدث أولاً عن آثار الترف العامة، ثم أتبعها ثانياً بآثار الترف الخاصة وآثارها الســيـــئــــــة على مسيرة الدعوة.

أ- الآثـــــــار العامة للترف على شخص المترف:

١- قلة العبادة والتكاسل عن الطاعة ونسيان الآخرة، وذلك لأن القلب له حد لا يستطيع تجاوزه، فمتى مليء بشيء حتى فاض استحال ملؤه بغيره حتى يلقي صاحبه ما فيه أو ينقص منه، والمترف قد ملأ قلبه أو كاد بِهَمّ الدنيا وتحصيل متعها وشهواتها، فلم تجد العبادة وتذكر الآخرة المكان الكافي لهما في قلبه، مما اضطر غالبها إلى الرحيل، قال أبو حازم -رحمه الله: (يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة)، فإذا كان هذا حال اليسير من الدنيا فكيف بحال الكثير؟!.

٢- جـــعـــــل الإنسان نفسه عرضة لعبودية الهوى والشهوات، ورد الحق والتكذيب به، وقد أبان الله تعالى في كتابه أن الترف سبب لذلك في آيات عديدة، منها: قوله تعالى: "واتَّبَعَ الَذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وكَانُوا مُجْـــرِمِينَ"[2]، وقولــه تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِـــــــن نَّذِيرٍ إلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ"[3]، وقوله سبحانه: "وذَرْنِـــي والْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي النَّعْمَةِ ومَهِّلْهُمْ قَلِيلاً"[4].

٣- ضياع ساعات عمر الإنسان وأيامه في أمور إن لم تكن مع سيئاته فلن تكون مع حسناته بحال، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- محذراً من ذلك، فقد روى أهل السنن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَـــالَ: [مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرْ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ اللَّهِ تِرَةٌ وَمَنْ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ اللَّـــهِ

---

[1] سورة التوبة:٢٤

[2] سورة هود:١١٦

[3] سورة سبأ:٣٤

[4] سورة المزمل: ١١

تِرَةٌ]، ومما استحسن من كلام الحجاج قوله على المنبر: (إن امرءاً ذهب من عمره ساعة في غير ما خلق له لخليــق له أن تتطاول عليه حسراته).

٤- ضعف استشعار مراقبة الله تعالى للعبد وندرة محاسبته لنفسه ومراجعتها فيما تعمل ليعرف المرء ما له وما عليه فيتـــزود من الخيرات ويترك اقتراف ما لا يُقَرِّبه من الله تعالى من آثام أو مباحات.

٥- زيغ بعض الناس وانحرافهم وخروجهم من عداد الصالحين نتيجة الإكثار من الملذات والشهوات المباحة أولاً، ثم التوسع فيها حتى يخرجوا عن دائرة المباح إلى دائرة المشتبه فيه، ومع الزمن يقــعـــــون في المحرمات قليلاً قليلاً حتى يصلوا إلى مرحلة الهلكة وزيغان القلب، وخروجه إلى دائرة الفسق إن لم يتجاوزها، نسأل الله السلامة.

٦- العُجْب بالنفس والتــكــبر على الآخرين، وهاتان الصفتان موجودتان لدى بعض الدعاة نتيجة عيشهم في أوســاط النعيم، ولكنهم لا يتمكنون – في الغالب – من الشعور بها إلا من أدام منهم النظر في حاله أو نبهه عليها آخـــر ممـــن وفقهم ربهم وصانهم من الوقوع فـــيـــهـــا، وذلك راجع إلى كونهما تبدءان في النفوس كخيط رفيع جداً لا يُرى ثم يكبـــر شيـــئـــــاً فشيئاً حتى يبين ويتضح، ويكون الداعية عند ذلك قد غفل وخف مبدأ محاسبته لنفسه.

٧- كسر قلوب الضعفاء وذوي الفقر والحاجة في المجتمع من جهة، وتكـــــــون الحقد لديهم على ذوي اليسار والترف من جهة أخرى، نتيجة ما يلاحظونه من وجود فوارق كبيرة في العيش والإنفاق بين طبقات المجتمع المختلفة، وذلـــك من خلال المقارنة بين حال المترفين العابثين بالأموال اللاهين بالنعم، الذين لا يعرفون فضل الخيرات وقيمتـــها ممـــن لا يقدمون معروفاً لمستحقيه، وبـــيـــــن أحـــوالهـــم حين يـــــرون أنفـــســـهــــم لا يستطـــيـــعون الحـــصول على ضروريات الحياة وحاجياتها.

٨- عدم القدرة على تحمل الــمـــشـــقة والتجلد للشدائد والتأهب لمجيء الفتن وتقلب الأيام، وذلك نتيجة عجز الإنسان وعدم تهيئته لنفسه وترويضه إياها على تحمل ذلك لو نزل به.

٩- ضياع الأموال والعبث بها في التـــرهـــــــات ممـــــــا أدى إلـــى عجز بعض الناس عن القيام بالواجبات، فكيف بالمستحبات؟ بل إن الأمر قد وصل بأناس إلى الاقتراض للإنفاق على الملذات وما تشتهيه الأنفس.

١٠- نجاح مخططات الكفار في إلهاء المسلمين بالترف والبذخ وما صاحب ذلك النجاح من ازدهار صناعاتهم لوسائل الترف التي يرسلونها إلى أوساط المسلمين ليلهوا بها ويترفهوا، وينشغلوا عن قضاياهم الكبرى، وهذا ملموس.

١١- قساوة القلب وغلظة الحس وثقل البدن مما يؤدي إلى نـــســـيــــان الـــعـــلـــــــم وزوال الفطنة والحرمان من متعة، التطلع إلى ما وراء اللذة الآنية بالإضافة إلى الحرمان للنفس من متعه الاهتمامات الكبرى اللائقة بالدور العظيم للمسلم في هذه الحياة مع انـــشـــغـــــال القلب عن التبصر بما يدور حوله للعبرة والعظة من ذلك نتيجة غرقه في لجة اللذائذ والـــشـــهــــوات، قال الشوكاني –رحمه الله– عند قوله تعالى: "إلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وإِنَّا عَلَى آثَارِهِــــــم مُّقْــتَدُونَ": (وخصص المترفين تنبيهاً على أن التنعم هو سبب إهمال النظر).

١٢- انـــتـــشـــار البطالة وظهور العجز والكسل وشيوع التواني عن أداء الأعمال النافعة بحيث يقوم بـــعـــضـــهـــــــم بإنجـــــــاز عمل يوم في أسبوع، وإنجاز عمل أسبوع في شهر، ... وهكذا، ولخطورة هذا الأثر في حياة المسلم كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يستعيذ بالله من العجز والكسل، روى البخاري في صحيحه عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: [كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ].

١٣- ظهور السمنة لدى كثـــير من الناس وانتشار كثير من الأمراض الناتجة عن التخمة وقلة السعي والحركة.

ب– الآثار السيئة للترف على مسيرة الدعوة:

١– أن المترفين من الدعاة حريصون على تــقـــلـــيـــد تـــجـــــارب دعوية سابقة، وقل أن يبرز من أوساطهم قيادات دعوية جديدة تتأمل في تجارب من سبقها وتأخذ منها ما كان صالحاً في نفسه ومناسباً للمرحلة التي تمر بها الدعوة، وما لم تجده لدى السابقين كذلك اجتهدت فيه على ضوء تعاليم الشرع وفي ظل متطلبات الواقع.

٢– عدم تقدم الدعوة إلى مراحل متقدمة، بل تأخرها – إن لم يصل الأمر إلى انشقاقها نتيجة اختلاف الرأي بين المتـــرفين وغير المترفين من الدعاة – حـــيـــث إن الـــمـــترفـــين غالباً ضعيفو الرأي، والعميق منهم في رأيه يكون الأصل فيه مراعاة استمرار أسباب ترفه – حتى وإن لم يستشعر ذلك في ذهنه – وغير المترفين غالباً هم الأكثر عمقـــاً في الـــرأي وسبر حقائق القضايا والمسائل من غيرهم، ولكن زمام اتخاذ القرار والمبادرة غالباً بيد من بإمكانه مد الـــدعوة بالمـــال والقدرة على الإنفاق على مشاريعها بيد المترفين، ورجوع أولئك عن رأيهم إلى ما يراه غيرهم قليل في الغالب نظراً لما يوجده الترف لديهم من اســـتـــعـــــلاء وكبر خفي يحجزهم في أكثر الأحيان عن قبول الحق ممـــن لـــيس علـــى شاكلتهم، ولن يعجـــزوا عن التبرير وسوق الحجج لأن باب الاستغلال السيء لمصلحة الدعوة مشرع للجميع وليس من عادته رد أحد.

٣– كـــــون المترفين أكثر عرضة للفتور والتراجع عما هم عليه من خير ودعوة أمام الفتن التي تلازم فـــي الغالب الدعاة، والعقبات التي تعترض مسيرة الدعوة، بل إن بعضهم قد يتحول أمام الـــمـــغريات والخوف من أفول الترف وانصرام الملذات إلى الوقوف في وجه الدعوة، وكَيْل التهم لها، وإثارة الشُبَه حولها، ومحاولة الوقيعة بين حَمَلتها.

٤– أن الداعية المترف متعود على الإنفاق على خواصه بكثرة وسعة؛ فإذا أوكل إليه شيء من أموال الدعوة فعل بها كمـــا يفعل بماله غالباً، والأصل أنها لا تصرف إلا في الأمور الضرورية والحاجية، وما زاد عن مكان فالمكان الآخر في أمـــس الحاجة إليه.

٥– أن الداعية المترف أقل اهتماماً بدعـــوتـــــــه والقـــيـــــام بها من غيره، وذلك لأنه عقد همته للشهوات والتلـــذذ بالنعم والملذات وطلب أسباب ذلك، هذا من جهة، ومن جهة أخرى: هو عاجز عن القيام بأمور نفسه فكيف يقـــوم بأمور الـــدعوة وهي ضرب من الجهاد؟

٦– أن الداعية المترف أقل إفادة للمدعوين من غيره، وذلك لأن انغماسه في النعيم وتحصيل أسبابه مانع له من التزود بالعلم الشرعي، مما يعني اكتفاءه بتقديم ما عنده من معلومات، فإذا انتهت بدأ بتكرارها، وهكذا.

٧– الترف من أسباب زوال الدعوات وأفولها – ما لم يـــبـــادر كبار الدعاة إلى إصلاح الوضع وتـــسديد الأمـــر – لأن انتشار الترف بين مجموعة من الدعاة من غير نكير يؤدي إلى اتساع انتشاره بين فئات أخر، نظراً لحب النفوس لذلك واتخاذ كـــــل فئة لمن قبلها قدوة، مما يؤدي إلى ضعف الأنشطة في البداية نتيجة فتور بعض الدعاة، وبـــعـــــــــد ذلك يبدأ تساقط الفاترين مجموعة بعد مجموعة نتيجة الانهماك بزخرف الحياة والتشاغل بزينتها.

٨– الترف يدفع الدعاة إلى عدم نشر الدعوة بقوة وجدية بين كافة فئات المجتمع، كما أنه يؤدي إلى فتور المربين عن ممارسة الأعمال التربوية نظراً لمشقة ذلك على النفس وما تتطلبه العملية التربوية من وقت وجهد وبذل، وذلك ما يعجز عنـــه المترفون نـــظـــــراً لعدم تعودهم عليه.

سادساً: علاج الترف وكيفية تجاوزه:

سيكون هناك بسط للحديث – نوعاً ما – في هذا الجانب نظراً لأهميته، وسيتم تقسيم هذه الفقرة إلى ثلاثة محاور:

أ- الاعتبار بهدي السلف في التعامل مع زهرة الحياة وزخرفها:

لابد للمتــرف من النظر في هدي السلف في التعامل مع متع الحياة وملذاتها، للأخذ منه والســيـــــر على منواله، ونظراً لكثرة ما ورد عن السلف في ذلك فسأحاول ذكر أبرز معالم هديهم في ذلك والاستشهاد لذلك ببعض أقوالهم وأفعالهم:

١- تربية النفس على عدم تحقيق كل ما تشتهيه مع قدرة العبد على تحقيق مطلوبها:

١/١- قال رجل لابن عمر (رضي الله عنه): ألا أجيئك بجوارش، قال: وأي شيء هو؟ قال: شيء يهضم الطعام إذا أكلته، قال: ما شبعت منذ أربعة أشهر، وليس ذاك أني لا أقدر عليه، ولــكـــن أدركـــت أقـــــواماً يجوعـــون أكثـــر ممـــا يشبعون، وفي رواية: ولكن عهدت أقواماً يجوعون مرة ويشبعون مرة.

٢/١- وسئل الحسن عن الرجل يبتاع الطعام ويبتاع اللحم، هل عليه في ذلك؟ فقال: إن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: كفى سرفاً ألا تشتهي شيئاً إلا أكلته.

٢- أن ما قد يكون ترفاً مـــــن رجـــــــــل قد لا يكون ترفاً من آخر، حيث كان السلف (رحمهم الله تعالى) يفرقـــون بـــين الرجل الغني والرجل الفقير، فيقبلون من الغني من التوسع ما لا يقبلونه من الفقير:

فعن عبد الله بن حميد قال: مر جدي على عمر ابن الخطاب وعليه بردة فقال: بكم ابتعت بردك هذا؟ قال: بستين درهمـــاً، قال: كم مالك؟ قال: ألف درهم، قال: فقام إليه بالدرة فجعل يضربه ويقول: رأس مالك ألف درهم وتبتاع ثوباً بـــستين درهما؟!، وفي حين كان عمر يصنع ذلك بهــــذا الرجل ذكر ابن سعد عن سعد بن إبراهيم قال: كان عبد الرحمن بـــن عوف يلبس البُرد أو الحلـــــــة تـــســـــاوي خمسمائة أو أربعمائة، وذكر الأصفهاني عن عثمان بن أبي ســـليمان: أن ابن عباس اشترى ثوباً بألف درهم فلبسه.

ومما ينبغي أن يلحق بذلك اختلاف البلدان غنى وفـــقــــــراً، وكذلك اختلاف الأوقات من حيث نزول النوازل بالمسلمين أو عدم ذلك، ففي البلد الــغـــنـــي ـــ في حال الأمن واستقرار أحوال المسلمين ـــ يتساهل في التوســـع في اســـتعمال المباحات أكثر من التساهل بذلك في البلد الفقير، أو في حال نزول المصائب والبلايا على المسلمين.

٣- النظر إلى ملذات الحياة الدنيا وشهواتها على أساس أنها وســيـــلـــــة زائلة تقرب إلى الدار الآخرة لا أنها غاية في ذاتها وهدف يطمح إلى تحقيقه والتشبث به:

قال عثمان ابن عفان (رضي الله عنه) في آخر خطبة له: إن الله إنما أعطاكم الدنيا لتطلـــبــــــوا بها الآخرة، و لم يعطكموها لتركنوا إليها، إن الدنيا تفنى والآخرة تبقى، لا تبطركم الفانية، ولا تشغلكم عن الباقية، آثروا ما يبقى على ما يفـــنى فـــإن الدنيا منقطعة وإن المصير إلى الله تعالى.

٤- التوسط في الإنفاق على النفس والأهل:

قال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز: كيف وما يغنيك؟، قال: الحسنة بين السيئتين، ثم تلـــى قـــول الله تعـــالى: "والـــذيـــن إذا أنفقوا لم يسرفوا و لم يقتروا وكان بين ذلك قواما"[الفرقان: ٦٧]،

وقال الحسن في ذكر علامات المؤمن: (ولا يقصر به بيته، ولا يبخل، ولا يبذر، ولا يسرف، ولا يقتر)

وعن سفيان، قـــــال: (كـــانـــــوا يـــكـــرهـــــون الشهرتين: الثياب الجياد التي يشتهر فيها، ويرفـــع النـــاس فيهـــا أبصارهم، والثياب الرديئة التي يُحتقر فيها، ويُستَذَل دينه.

٥- الإنفاق في وجوه البر والــــخــــيــــــر والحث على ذلك؛ فعن علي (رضي الله عنه) قال: (ما أنفقت على نفسك وأهلك مــــن غير سرف ولا تقتير فلك، وما تصدقت فلك، وما أنفقت رياء وسمعة فذلك حظ الشيطان)،

وعن الزهري قال: تصدق ابن عوف على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بشطر مــالـــــــه، ثـــم تصـــــدق بأربعين ألف دينار، وحمل على خمسمائة فرس في سبيل الله، ثم حمل على خمسمائة راحلة في سبيل الله، وكان عامة ماله من التجارة،

وعن الحسن، قال: باع طلحة أرضاً له بسبعمائة ألف، فبات ذلك المال عنده ليلة، فبات أرقاً من مخافة المال حـــتى أصـــبح ففرقه،

وعن مغيث بن سمي، قال: كان للزبير ألف مملوك يؤدون إليه الخراج، فكـــــــــان يقسمه كل ليلة، ثم يقوم إلى منــــــزله وليس معه منه شيء.

٦- الســــعي في طلب الرزق بدون مغالاةٍ توصل العبد إلى التفريط في الطاعات؛ ومن ذلك:

ما جاء عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد - وهــــــــي مـــن عوالي المدينة - وكنا نتناوب النزول على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئت بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مــثــــــــل ذلك،

وعن ثابت البناني، قال: ذكر أنس سبعين رجلاً من الأنصار كانوا إذا جنهم الليل أودوا إلى معلم لهـــم بالمدينـــة يبيتـــون يدرسون القرآن، فإذا أصبحوا فمن كانت عنده قوة أصاب من الحطب واستعذب من الماء، ومن كانت عنده سعة أصابوا الشاة فأصلحوها فـــكــــانــــت تـــصـــبـــح معلقة بحُجَر رسول الله -صلى الله عليه وسلم-،

وقال القاسمي: وكان السلف يبتدرون عند الأذان ويخلون الأسواق لأهل الذمة والصبيان.

٧- الحث على شغل الإنسان وقته بما ينفعه ديناً ودنيا، والتحذير من البطالة والفراغ:

قال عمر (رضي الله عنه): لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقني، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضـــة.

وقال ابن مسعود: إني لأكره أن أرى الرجل فارغاً لا في أمر دنياه ولا في أمر آخرته.

وقيل لأحمد: ما تقول فيمن جلس في بيته أو مسجده وقال: لا أعمل شيئاً حتى يأتيني رزقي؟ فقال: (هذا رجل جهل العلم، أما سمع قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي، وقوله -صلى الله عليه وسلم- حين ذكـــر الطير فـــقـــال: تـــغـــدو خماصاً وتروح بطاناً، فذكر أنها تغدو في طلب الرزق، وكان أصحاب رسول الله -صـــلى الله عليه وسلم- يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخيلهم، والقدوة بهم).

٨- الإكثار من محاسبة النفس عند ســعـــــة الـــرزق وانبســـاطــــه، وخشيتهم من أن يكون ذلك استدراجاً:

قال عبد الرحمن بن عوف: قُتل حمزة فلم نجــــد ما نكفنه فيه ـــ وهو خير مني ـــ، وقتل مصعب بن عمير ـــ وهو خير مني ـــ فلم نجد ما نكـــفـــنـــه، وقـــد أصبنا منها ما قد أصبنا.. ثم قال: إني لأخشى أن يكون قد عجلت لنا طيباتنـــا في الدنيا.

وعـــــاد خـــبـــاباً نفرٌ من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالوا: أبشر يـــا أبـــا عبـــد الله إخوانـــك تقـــدم عـــلـــيـــهـــم غـــداً، قال: فبكى وقال: أما إنه ليس بي جزع ولكنكم ذكرتموني أقواماً وسميتم لي إخواناً، وإن أولئك قد مضوا بأجورهم كلهم، وإني أخاف أن يكون ثواب ما تذكرون من تلك الأعمال ما أوتينا بعدهم.

ب- توجيهات عامة للمترف يمكنه القيام بها:

١- معرفة أن الترف مما لا يليق بالدعاة، وأن اللائق بهم هو إيثار العمل بدين الله والدعوة إليه والذود عنه؛ لأن ما عند الله خير وأبقى، ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه:

قال الله تعالى في الحديث القدسي: [أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر].

وقال ابن القيم (رحمه الله): قال لي شيخ الإسلام ـــ في شيء من المباح ـــ: هذا ينافـــي الـــمراتب العالية، وإن لم يكـــن تركه شرطاً في النجاة، ثم يقول: فالعارف يترك كثيراً من المباح إبقاءً على صيانته، ولاسيما إذا كان ذلك المباح برزخاً بين الحلال والحرام.

وقال (رحمـــه الله) فـــي الفوائد: (من أراد صفاء قلبه فليؤثر الله على شهوته).

٢- نظر المترف في مدى الخسارة التي يجنيها نتيجة الاشتغال بمظاهر الترف، ومن تلك الخسائر على سبيل المثال:

٢/١- ذهاب أمواله سدى،

٢/٢- وكون الوقت الذي يفنى في ذلك غير نافع له في الآخرة، مع أنه يدني صاحبه من الآخرة،

٢/٣- وضعف محبة العبد لربه لأن اشتغاله بمـــلـــذات الـــدنـــيـــــا وشهواتها يؤدي به إلى حبها حباً يصد عن الطاعة، ومثل ذلك مُضعف لحب العبد لربه، قال ابن القيم (رحمه الله): (لا تدخل محبة الله في قلب فيه حب الدنيا إلا كما يـــدخل الجمل في سم الإبرة).

٣- على المترف أن ينظر في حوادث الزمان ونوائب الليالي والأيام، وأنه إن كان غنياً اليوم فقد يكون فقيراً غداً، وبالتالي: فإنه إن لم يردع نفسه في غناه واغتر بحاله فقد تزول دنياه فـــجـــأة، ويتحـــول غناه فقراً، وعزه ذلاً، وعندها تضيق بـــه الأرض بمـــا رحبت، وتسوء عاقبته، ولله در الشاعر حين قال:

إذا تم أمر بدا نقصـــه   توقع زوالاً إذا قيل تـــم

فالعاقل يعد نفسه لتقلب الأحوال وتبدل الأزمان.

٤- على المترف أن يدرك أن حصوله على وسائل الترف ومغريات الحياة وشهواتها ليس من أسباب تحـــصيل الـــســـعـــادة، والـــواقـــــــع خير شاهد على ذلك، فكم من رجل بلغ الغاية في الاستمتاع بزهرة الحياة ومتعها، ومع ذلك نجده كثير الخـــوف والهموم، شارد البال، بل إن الأمر قد يصل به إلى قتل النفس والانـــتـــحـــار، وكم من رجل مع فقره وصعوبة معيشته نجـــده في سعادة وهناء وانشراح صدر، قال الحسن: (أهينوا الدنيا، فوالله ما هي لأحد بأهنأ منها لمن هانها)، وقال الشاعر:

ولست أرى السعادة جمع مال   ولكن الـــتـــقـــي هو الـــســـعـــيد

٥- الحذر من تقليد البيئة التي يعيش فيها في كل شيء، والتنبه لعدم أخذ التصورات والقيم إلا من طريق الإســـــلام، لأن من أبرز أسباب الترف -كما سبق - حب التقليد للمترفين في المجتمع وإرادة مباهاقم وحب البروز والتعالي عليهم نتيجة رفع كثير من المجتمعات من شأن الدنيا وزخرفـــهـــــا، وتحويل ذلك إلى غاية وقيمة بعد أن كان وسيلة وزينة، والطريق لتجاوز ذلك وتلافيـــه: تعــويــــــد الإنـــســــــــان نفسه الرجوع إلى نصوص الكتاب والسنة لمعرفة حكمها في الشيء المراد فعله قبل مباشـــــــــرة ذلك، وعندما يطبق المرء ذلك ستتضح له القيم والسلوكيات المخالفة لـــتعاليـــم الإســـلام في المجتمـــع - ومنها الترف والتباهي به - فيسعى إلى الحذر منها وتجنبها.

٦- لابد للعبد من إشغال نفسه بما يعود عليه نفعه في الآخرة، وذلك لأن النفس إذا رباها صاحبها على جعل ذلك هدفاً، تترتب الأولويات لديها فتقدم الأنفع على النافع والنافع على ما ليس فيه نفع، وحين تفعل النفس ذلك فإنها ستتعالى عن التعلق بمتع الحياة.

قال سليمان الداراني: لا يصبر عن شهوات الـــدنـــيــــا إلا مـــــن كـــــان فـــي قـــلـــبـــه مـــــا يـــشغله عـــن الآخرة.

وقال مالك بن دينار: بقدر ما تحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك.

٧- التأمل في تبعات الترف في الآخرة، وتخيل العبد وقوفه بين يدي الله تعالى، والأسئلة التي ستوجه إليه في ذلك الموقف عـــن النعيم الذي يتقلب بين جنباته في هذه الدنيا دافع له إلى ترك الترف، ولذا: ذكّر النبي -صلى الله عليه وسلم- أمته بذلك فقال: لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه ما فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه، ولقد كان هذا التأمل من أكبر الأســبـــاب الـــتـــي دفـــعـــت بعـــض السلف إلى التقلل من الدنيا وملذاتها.

قال طاووس: (حلو الدنيا مـــر الآخـــرة، ومر الدنـــيـــــــا حلو الآخـــرة).

وكان الأسود يقول: (من كانت الدنيا أكبر همه، طال غداً في القيامة غمه).

٨- النظر في حال أهــــــل الـــتـــرف قديماً وحديثاً، والتأمل في أوضاعهم وما يعانيه غالبهم من غفلة، وقلة طاعة، وقـــسوة قلب، وكثرة هم، وتشتت فكر، بالإضافة إلى الفجيعة من تقلب الأحوال والخوف من انصرام ما هم عليه من نعيم وملذات: كفيل بردع العاقل عن التعلق بالملذات، ولله در سفيان الثوري حين قال: (إذا أردت أن تعرف قدر الدنيا فانظر عند من هي).

٩- إدراك الـــمــــتــــرف أن القليل من نعيم الدنيا يكفي لعبور هذه الدار والوصول إلى الآخرة، وبالتالي: فإن عليه التخفيـــف من الانغماس في الملذات،

قال -صلى الله عليه وسلم- حين دخل عليه عمر ـــ وهو على حصير قد أثر في جنبه ـــ فقال: يا نبي الله لو اتخذت فراشاً أوثر من هذا!، فقال: (مالي وللدنيا، ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة مـــن نهار ثم راح وتركها).

وكان خالد بن صفوان يقول: (بت أفكر فكسبت البحر الأخضر بالذهب الأحمر، ثم نظرت فإذا الذي يكفيني من ذلـــك رغيفان وطمران).

١٠- معرفة مخططات ووسائل أعداء الإسلام في إلهاء الشعوب المسلمة لصدها عن دينها وسلب خيرات بلدانها، فإن من أسباب لهو بعض المسلمين وتشاغلهم بالترف والشهوات - كما سبق - سعي أعــدائــهــــم مـــــــن اليهود والنصارى وغيرهـــم إلى ذلك، فمتى عرف المرء تلك المخططات واتضحت له وسائل تنفيذها، تحاشى الوقوع في حبائلها.

١١- لابد للمترف من النظر في أحـــــــــــوال الــمسلمين والتأمل في شدة ما يعانون من فقر وجهل ومرض، بالإضافة إلى ما يتعرضون له من حروب، ليعرف شدة خطئه في ترفه، وأن الأنفع له تقديم ما يفيض عن حاجته إلى إخوانه.

جــ- وسائل يحسن للمربين الأخذ بها للتخفيف من الترف وآثاره:

عندما نتحدث عن تـــرف بعض الأشـــخاص المنتسبـــين إلى طريق الدعوة لابد لنا من التعريج على الدور الواجب القيام به من قبل المربين والمسؤولين عن المحاضن التربوية لكي يقوموا بدورهم في تجاوز هذه الظاهرة حتى لا تتراجع مسيرة الدعوة أو تستمر في مكانها التي هي فيه ـــ دون تقدم يذكر ـــ، والوسائل التي يمكــــــــــن أن يقوم بها المربون في علاج تلك الظاهرة كثيرة؛ منها ما يلي:

١- تربية المتربين على الاستقامة والجدية، وتعوديهم على أخذ الإسلام بقوة بحيث يبادرون إلى فعل محبوبات الله تعـــالى ســـواء أكانت واجبات أو مستحبات، وإلى ترك مبغوضات الله تعالى سواء أكانت محرمات أو مكروهات. والاستقامة علـــى الإســـلام وأخذه بقوة لا يطيقه إلى من صلب عوده وقوي إيمانه، لأنها تعني القيام بين يدي الله تعالى على حقيقة الصدق بحيث يترك الإنـــسان شهوات نفسه وملذاتها مع قدرته على إتيانها، ويتحمل ما يلاقيه من جراء قيامه بمخالفة معهودات المجتمع وعاداته.

٢- توجيه المتربين إلى حـــســـن اســـتـــثـــمـــار أوقاتهم، لأن من أبرز دواعي الترف وأسبابه ارتفاع نسبة الفراغ في أوقـــات الشباب، مع وجود طاقات كبيرة بحاجة إلى توجيه وإرشاد واع من قبل المربين لتصريفها تصريفاً حســـنـــاً ووضـــعها في المـــسار الصحيح، ولقد جاء حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذي رواه ابن عـــبـــــــاس (رضي الله عنهما): (نعمتان مغبـــون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ)، مبيناً مدى تفريط كثير من الناس في طاقاتهم، ومنبهاً أصحاب التربية والتوجيه إلى ضـــرورة ملاحظة تلك الظاهرة والسعي بجد لعلاجها.

٣- بيان منهج الإسلام في التعامل مع النعم، والسعي بجد إلى ممارستهم ذلك المنهج في واقع حياتهم الــعــمـــلـــيــــة، مـــع متابـــعـــتـــهـــم - بأســـلـــوب مـــنـــاســـب - أثـــنـــاء التطبيق والممارسة من أجل رفع معنوياتهم، وتشجيعهم حـــال الإصابة، وتوجيههم إلى الحق حال مجانبته والوقوع في ضده.

٤- توجيه الشباب وتربيتهم على الجلد والخشونة وترك الدلال والطراوة، ومن الأمور التي يمكن من خلالها تحقيق ذلك ما يلي:

٤/١- الحديث عن صفات الرجال المجاهدين في الأمة قديماً وحديثاً، وبيان مدى تركهم للكثير من الأمور التي تؤدي بهم إلى الترف والرفـــاهـــيـــة ـــ مـــع تـــمـــكنهم من إتيانها ـــ لكي يتخذ المربُّون أولئك الأفذاذ قدوة وأسوة.

٤/٢- إرشادهم إلى ما كان عليه صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من خـــدمـــة أنفسهم؛ قـــالــــــت عائشة (رضي الله عنها): (كان أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عمال أنفسهم، فكان يكون لهم أرواح، فقيل لهم: لو اغتسلتم)، وحثهم على القيام بخدمة أنفسهم قدر الإمكان والاستغناء عن العمال والخدم - في المترل وخارجه - وجعـــل ذلك هو الأصل وخلافه هو الاستثناء.

٤/٣- اخـــتـــيــــــار أنـــــــواع الـــريـــاضـــة التي تؤدي إلى قوة الجسم وتساعد على التحمل والخشونة كـــالجري والسباحة، وأنواع الـــريـــاضـــــــــــات التي تساعد في الدفاع عن النفس، مع ملاحظة وتجنـــب المحـــاذير الـــشرعية والتربوية.

٤/٤- الإقـــــــلال من توفير وسائل الترف، سواء أكان ذلك في المطاعم أو المشارب أو الملابس أو المساكن أو المراكب أو الألعاب... إلخ.

٤/٥- دفعهم إلـــى إتيان ما يستطيعون من نوافل العبادات وبالأخص العبادات البدنية كصيام التطوع والحج والعمرة وقيام الليل... ونحو ذلك من العبادات التي يكون فيها نوع مشقة على البدن.

٤/٦- توجيه من تحت أيديهم إلى الاهتمام بمعالي الأشياء وترك سفاسفها، والبـــحـــــــــــث عن حقائق الأمور وعـــدم الاقتصار على ظواهرها، والقيام بتعريفهم بأن قيمة الإنسان بحسب ما يكون عليه من تقوى لله وعمـــل لدينـــه ونـــصرة لإخوانه، لا بما هو عليه من زهرة الحياة الدنيا وزخرفها.

٤/٧- تعويد من تحت أيديهم على الإيثار والكرم وحب البذل ودفعهم إلى المبادرة والتسابق في ذلك إيثاراً للباقيـــة علـــى الفانية، قبل أن يفاجئ أحداً منـــهم المـــوت أو تتبـــدل بـــه الأحـــوال ويحـــدث مـــا يمنعـــه مـــن القيـــام بـــذلك. لابد للمربين أن يحملوا الذين يربوهم بعض المسؤوليات، مع التشجيع حال الإصابة، والإرشاد ــ مع الرفق ــ حال الخطأ.

٤/٨- تشجيع من تحت أيديهم على الابتكار والسعي إلى اتخاذ القرار، وحثهم على التفـــكـــيـــر والقيام بالموازنة بـــين المصالح والمفاسد، وممارسة النقد البناء ونبذ التقليد الأعمى للآخرين - من مربين وغيرهم - في الصغير والكبير.

٤/٩- طرق أسماع الذين يربوهم بمعاناة أكثر المسلمين في هذا العصر مع تقديم ما يرسخ ذلك في نفوســـهم مـــن صـــور ووثائق، ودفعهم إلى المقارنة بين حياهم التي يعيشونها وبين الحياة التي يعيشها الآخرون من إخوانهم.

وهذا آخر ما يَسَّرَ اللهُ جمعه بفضله ورحمته